جنيف، مقرّ عصبة الأمم

إذن، وبمناسبات أساسية ثلاث – الإصلاح، وروسو، والصليب الأحمر – فاضت جنيف على العالم. لكن العالم لطالما عاد إلى جنيف. [...] وهي مدينة الهجرة واللجوء، خلاصة الأمم، وهي تدير في ميزاتها للخارج، ولكنها كانت تعيد تشكيل هذه الميزات الخارجية وتصقلها بحسب صورتها. إن عبقرية جنيف إنما تتجسد بإعادة تشكيل الرجال الذين يأتون إليها من الخارج لتجعل منهم رجالًا من هنا، وبأنها قادرة على أن تصنع موائمة ما بين الوطنيين والمنفيين والمشردين والمجهولين والقلقين واللاجئين. إن أبناءها الأفضل، الأكثر تعلقًا بمصيرها وغالبًا ما يكونون هم الأكثر تمثيلًا لتقاليدها، إنما هم ممن تبنتهم جنيف.

ولأنه، في هذه المساحة الضيقة ولكن ذات السيادة، فقد تم تجميع كل مندوبي الأنواع المختلفة سويًا، ذلك أن الكثير من الأفكار تمّ التعبير عنها، وتم احتضانها، ومناقشتها، ذلك أن كثير من الناس هربوا وغيرهم ممن أتوا إلى هنا، لأن العالم كان ليكون مختلفًا لو لم تكن جنيف موجودة. يمكننا أن نقول عن جنيف أنها مدينة حيث لا يشعر أي رجل بأنه غريب عنها.

هذه الروحية الموجودة في جنيف، والذي يمكن أن نلخصه بأنه رغبة في التخطي والتحرر وفي الرسولية، من خلال ثقة بالإنسان على شرط أن يخضع لبعض القواعد، أن يؤمن بالعقد الجماعي، بأن يكون لديه الفضول لاقتبال كل الأفكار والشعوب، بأن يكون لديه تعاطفًا إزاء كل أشكال البؤس يضاف إليها حاجة للاختراع والتحسين، واعتماد المناهج من أجل الإدارة. هذه الروحية التي خرجت عن نطاق ممثليها الطبيعيين ستكبر تنتشر وفق أبعاد ضخمة جدًا، وستحتضن دلالات جديدة رغم خطر الإرهاق، لتصبح ومن أن يعرف حاملوها الجدد سابقيهم، مثال لهؤلاء المجهولين الذين لا يمكن عدّهم، وهم من مختلف الأعراق من كل أطراف العالم. حتى أن إسم جنيف، يشع إلى ما بعد الدلالات الخاصة، هو بدوره يخضع لهذه المغامرة بأن يتحوّل إلى رمز.

روبير دو طراز، روح جنيف، لوزان، لاج دوم، 1995(الطبعة الأولى 1929) ، ص. 36 و 46 (مقتطفات من الجزء الأول)